تقديرات العوارض النّحويّة وقراءاتها في النّصّ القرآنيّ

The estimation of grammar effects and its Reading in the coranic texts.

أ. بوريشة عائشة ♥

تاريخ الاستلام: 22-08-2020 تاريخ القبـول: 09-04-2022

ملخّص: تعدّ ظاهرة "تقدير المعنى" من الظّواهر النّحويّة التي استند إليها اللغويون للتأليف بين التّركيب الجملي ومعناه الدّلالي المتعارضين ظاهريا وغرض التّقدير هو رد الكلام المخالف إلى أصله بإعمال الذّهن استنادا إلى قرائن لغويّة وغير لغويّة. وهذا البحث هو دراسة لبعض النّصوص القرآنيّة التي حملت عوارض نحويّة من تقديم وتأخير وحذف وتضمين، وكذا ذكر للقراءات المتعددة النّاجمة عن تغيير في الرّتبة أو حذف ركن من أركان الجملة أو تضمن كلمة معنى كلمة أخرى أو نيابة حرف عن حرف آخر ومعلوم أنّ الإعراب والمعنى متكاملان كل منهما يخدم الآخر ويوضحه ولا بد من النّحوي أن يعتمد على علوم البلاغة والبيان، لتوجيه تلك العوارض توجيها دقيقا. أمّا الهدف من الدّراسة فيكمن في استعمال العوارض النّحويّة في لغتنا وما يتولد عنها من معان والعلاقة الوطيدة المتكاملة بين النّحو والمعنى باعتبار أنّ الإعراب فرع المعنى ولا يمكن أن نهتمّ بجانب ونغفل الجانب الآخر لأنّ اللغة العربيّة بشكلها ومضمونها وبنائها كل متكامل.

الكلمات المفتاحيّة: التّقدير؛ العوارض النّحويّة؛ النّص القرآني.

Abstract: The estimation of meaning is a grammatical Phenomenon in which linguists rely on both semantics and pragmatics that are apparently opposing each other aiming at giving the speech its real meaning by promoting critical thinking through assuming the meaning using the linguistic or non-

♥جامعة ابن خلدون تيارت، جزائر، البريد الإلكتروني: aichabourich14@gmail.com (المؤلّف المرسل).

linguistic factors. This paper studies some coranic texts that include grammatical issues inclusion , as well as mentioning the multiple readings resulting from a change in rank or deleting one of the main components of the sentence or including a word which has a different meaning or a letter that means something different from the letter used.

It is known that grammar and meaning serve and clarify each other there for , it is necessary for the grammarian to rely on the sciences of rhetoric to guide these symptoms accurately .The aim of the study lies in the use of grammatical symptoms in languages .

Key words : Estimation ; Grammar effects ; Coranic text .

1 . مقدّمة: تتميز اللغة العربيّة بكونها لغة مرنة قابلة للاتساع، وقد جعل الله تعالى القرآن الكريم عربيا مبينا حمّال أوجه، أمّا نحوها فما وجد إلاّ لحفظه من اللّحن وقد استند النّحويون واللغويون إلى البلاغة والبيان في تفسير وتأويل مقاصد بعض الظّواهر الخارجة عن المألوف في النّظام النّحوي، من تقديم وتأخير وحذف وزيادة واتساع وتضمين وغيرها من أبواب العوارض النّحويّة ودرسوا أثرها في المعنى وما نجم عنه من دلالات عميقة. وقد قدر النّحاة ما خالف قواعدهم في كثير من المدونات لحفظ القاعدة النّحويّة أمّا غيرهم من المؤولين فقد جعلوا النّص العربيّ أكثر اتساعا وأسمى من أن تسطّره أيدي النّحاة بمعايير نحويّة ثابتة .وظاهرة التّقدير تعد آليّة من الآليات التي تجعل النّص الخارج عن المعياريّة الثّابتة في تجدد وتوسع فتألّف بينه وبين القواعد النّحويّة وتجعل له أبعادا إبداعيّة وتكسبه معان بلاغيّة وبيانيّة أعمق. وفي هذا البحث دراسة لبعض العوارض كالتّقديم والتّأخير والحذف والتّضمين حاولت أن أحلّل هذه الظّواهر ذاكرة تأويلات لبعض المفسرين واللغويين والبلاغيين للآيات القرآنيّة التي حملت عوارض نحويّة، مبرزة أثرها في توجيه المعنى وقد استعملت المنهج الوصفي التّحليلي .أمّا عن أهميّة البحث وهدفه فتكمن في استعمال العوارض النّحويّة في لغتنا وما يتولد عنها من معان، والعلاقة الوطيدة المتكاملة بين النّحو والمعنى باعتبار أنّ الإعراب فرع المعنى ولا يمكن أن نهتمّ بجانب ونغفل الجانب الآخر لأنّ اللغة العربيّة بشكلها ومضمونها وبنائها كل متكامل،

وكذا الاهتمام بدراسة ما جاد به تراثنا من أسرار اللغة العربيّة في كلام الله تعالى الذي لا ينضب معينه.

وفرضيات البحث هي:

– قراءات النّص القرآني هل تخضع النّص للقاعدة النّحويّة أم تجعل القاعدة النّحويّة أكثر مرونة واتساعا باعتبارها في حدود كلام الله تعالى؟

– هل الإعراب خدم للمعنى أم المعنى خدم له؟

والإشكال المطروح هو:

ما أثر تقديرات العوارض النّحويّة في قراءة النّص القرآني؟

2 . <u>تقدير الحذف عند المفسرين وأثره في المعنى:</u> قبل الخوض في معرفة أسرار الحذف لدى المفسرين، ينبغي توضيح بعض المفاهيم العامّة حول مصطلحي التّقدير والحذف.

1 – **<u>التّقدير:</u>** هو محاولة معرفة العامل المحذوف ولا يقتصر الأمر على ذلك بل "يتناول محذوفات أخرى غير العامل، فهو يتناول حذف المعمول وكذلك حذف الجملة بأسرها، أي؛ العامل والمعمول معا"[1] فالتّقدير إذن هو استظهار ما وري من مفردات محذوفة سواء كانت عاملة أم معمولة أم افتراض جمل وإعادة بنائها في تركيب لغوي يقتضيه السّياق "فالتّقدير وسيلة من أهم وسائل التّأويل التي يلجأ إليها عالم اللغة لتفسير المخالفة التي قد تحدث بين القاعدة أو القانون اللغويّ وبين النّصوص المستعملة، رغبة في تحقيق قدر مناسب من التّوافق بينها"[2]. ولعلّ الغاية من التّقدير هي سبك الكلام وفق ما يقتضيه المقام وإقامة توافق بين ما يبدو مخالفا للنظام اللغوي المستعمل والمعنى المراد. والتّقدير والحذف متلازمان لأنّ "التّقدير هو نيّة الشّئ وتصور وجوده، وكثيرا ما يستعمل في المواطن التي يقع فيها الحذف أو التي تحتاج فيها الكلمات إلى ما يكمل معانيها "[3] فما المقصود بالحذف؟

<u>2–الحذف</u>: قال ابن منظور: "حذف الشّئ يحذفه حذفا: قطعه من طرفه"[4].

إذن الحذف هو القطع لغة، ويعرفه عبد القاهر الجرجاني في قوله: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم

تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[5] فالحذف عرض يعرض في التّركيب اللغوي، فالأصل في الكلام الذّكر والحذف هو العدول عن الذّكر ممّا يورث في نفس المتلقي التّفاتا وتأملا يجعله يُعمل فكره فيما حذف فيعيده إلى أصله .و"الحذف ليس إلاّ تقدير ما لا وجود له في اللفظ، كما أنّ التّقدير في مجاله الرّئيسي ليس إلا حذف بعض أجزاء النّص الكلامي في اعتبار النّحاة "[6]. ويلتقي التّقدير والحذف فيتكاملان في عمليتي بناء وهدم فالحذف هو هدم للشكل الجملي والتّقدير هو إعادة بنائه اعتمادا على المعنى المتولد عن السّياق. فما أثر الحذف في النّص القرآني؟

2. 1 دلالة الحذف في نصوص من القرآن الكريم: من أمثلة الحذف في النّص القرآني قوله تعالى:﴿**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** ﴾(82)[7] فقد سقط وحذف حرف التّاء من الفعل "تستطع" وقد سلم من الحذف الفعل نفسه في آية سبقتها والسّر في حذف التّاء هو "إحداث التّناسب بين المبنى وما يدل عليه من المعنى في سياقه ...حيث ورد الفعل مخففا بحذف التّاء للتنبيه على زوال ذلك الثّقل عن كاهله حيث خف عليه ما لقيه ببيان سببه ومعرفة كنهه فتناسب كل بناء من هذين البناءين مع ما يصوره المعنى"[8]. فالتّخفيف من الكلمة كان نتيجة لزوال الشّدة والضّيق الذي عاشه موسى–عليه السّلام – وهو في صحبة الخضر بما لم يوافق فطرته النّبويّة مع كل الأحداث التي شهدها من قتل وتخريب ...ومن أمثلة حذف الكلمة حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾(22) [9]، ففي هذه الآية الكريمة إسناد المجيء إلى الخالق في ظاهر النّص و"بتقدير المحذوف تصبح (وجاء أمر بك) فيساعد تقدير الحذف الصّفة ويؤدي حذفها إلى التّباس في النّص أو يفهم معنى غير المعنى الذي يفهم حين يذكر ذلك المفهوم" [10]وهنا يسلك الزّمخشري ما سلكه المعتزلة يقول: "ما معنى إسناد المجئ إلى الله والحركة والانتقال إنّما يجوزان على من كان في جهة، قلت: هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثاره وسلطانه"[11] فالحذف في هذا الموضع ينتصر لمذهب المعتزلة وفي قوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ (82)[12]. وقد حذف المفعول من الآية وتقديره أهل القريّة، يقول ابن جني عن الغرض من الحذف: "فلأنّه في ظاهر اللفظ إحالة بالسّؤال على من ليس من عادته الإجابة فكأنّهم تضمنوا لأبيهم

عليه السّلام أنّه إن سأل الجمادات والجبال أنبأته بصحة قولهم – وهذا تناه في تصحيح الخبر–؛ أي: لو سالتّها لأنطقها الله بصدقنا فكيف لو سالتّ من عادته الجواب؟" [13]. فإخوة يوسف –عليه السّلام –حين رجعوا إلى أبيهم وقد أخذ عزيز مصر أخاهم أرادوا أن يؤكدوا لأبيهم صدقهم فجعلوا القريّة وهي جماد شاهدا على قولهم. ومن حذف الجملة قوله تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الذي يُكَذِّبُ بِالدّينِ (1) فَذَلِكَ الذي يَدُعُّ الْيَتِيمَ**﴾ (2)[14]، قال أبو السّعود: **(فَذَلِكَ الذي يَدُعُّ الْيَتِيمَ)** جواب شرط محذوف على أنّ(ذلك) مبتدأ والموصول خبره، والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالدّين ...إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا، ويزجره زجرا قبيحا" [15] والسّر في حذف جواب الشّرط هو: "أنّ القرآن الكريم حذف الشّرط للتعجيل والإسراع بفضح ذلك الفعل القبيح حين يتناول النّاس ذلك الخبر الموجز فيتناقل بسرعة لقلة تفصيلاته"[16]. والحذف في القرآن الكريم كثير وأغراضه متعددة تناسب السّياقات المختلفة والتّقدير هو آليّة للكشف عمّا يخفيه النّص من معان.

2.2: <u>تقدير التّقديم والتّأخير وقراءته عند المفسّرين:</u>

3.اهتم النّحاة بظاهرة التّقديم والتّأخير لما لها من دور في التّركيب اللغوي ووضع كل جزء من أجزاء الجملة في موضعه حسب ما يقتضيه السّياق، وقد يطرأ على الجملة تحول بين عناصرها فتصبح قرينة الرّتبة عاجزة وحدها عن الكشف عن المعنى المقصود من الخطاب، فيستعين النّحوي بالبلاغي في تحديد المعنى المراد من تقديم عنصر أو تأخيره. يقول عبد القاعر الجرجاني (ت741هـ): "هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التّصرف، بعيد الغاية، لايزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى الشّعر يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر سبب أن راق لك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[17]. فترتيب الكلام وفق تأليف خاصّ لا يرد اعتباطا، وإنّما يكون بقصد إيراد معنى له غاية دلاليّة أو بلاغيّة. ومن أمثلة التّقديم والتّأخير قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ**﴾(1)[18] قدّم العامل "اقرأ" قصد "الاهتمام بالقرآن لأنّ ذلك أوّل سورة أنزلت" [19]. كما نجد العامل مؤخّرا في البسملة ة تقديره "أبتدئ" "وتقدير العامل مؤخّرا كما صنعت أولى من تأخيره ليفيد الاختصاص والاهتمام بشأن المتقدم" [20]وقد قدر

الفعل أبتدئ مؤخرا، لما للبسملة من التّماس لمعونة وتوفيق الله تعالى، قال الطّبري: "إنّ الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه، أدّب نبيه محمّدا صلى الله عليه وسلم بتعليمه ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وجعل ذلك لجميع خلقه سنة يستنون بها، وسبيلا يتبعونه عليها" [21]، وقدم الجار والمجرور في قوله تعالى:﴿ إنّ إلينا إيّابهم ثمّ إنّ علينا حسابهم﴾ [22]. وذلك لاختصاص الإياب لله والحساب عليه، وفي قوله تعالى:﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (7)[23] ف"تقديم السّمع على البصر في مواقعه من القرآن دليل على أنّه أفضل فائدة لصاحبه من البصر فإنّ التّقديم مؤذن بأهميّة المقدم"[24] وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (124)[25] "المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم رب إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز فلذلك لم يقل وإذ ابتلى الله إبراهيم"[26] أمّا في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ (62)[27] "فالبدء بالاسم هنا يدل على الشّك في الفاعل من هو، وعلى التّردد فيه"[28]. أمّا في قوله تعالى:﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** ﴾(46)[29].

فقد وجه النّحاة إعراب "راغب" توجيهات مختلفة فمنهم من تركه على رتبته الأصليّة فأعربه مبتدأ وأعرب الضّمير بعده فاعلا سد مسد الخبر ومنهم من جعل كلمة "راغب" خبرا مقدّما والغرض من تقديمه لدى البلاغيين هو الإنكار والتّعجب.

وفي قوله تعالى:﴿**وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ (283)[30] في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ** ﴾ تعميم الإثم بتقديمه وتخصيص الإثم بالقلب بتأخير ذكره، وبيان ذلك أنه لو قال (ومن يكتمها فإنّه قلبه آثم) لما أفاد غير إثم القلب، ولكنّه بتقديم الإثم أفاد إثم جميع الجوارح، ثم خص القلب بالإثم؛ لأنّه موضع كتمان الشّهادة، فعبر عن إثم الجوارح وإثم القلب معا بالتّقديم والتّأخير"[31]. فالتّقديم والتّأخير له ضوابط ومقاصد وقرينة الرّتبة لا تعدل عن أصلها إلاّ إذا قصد المخاطب غرضا دلاليا أو بلاغيا كالتّخصيص أو التّعظيم، أو التّحقير أو غيرها من الأغراض الأخرى.

3.<u>تقديرات التّضمين وأثرها في توجيه المعنى في النّص القرآني</u>: التّضمين ظاهرة من الظّواهر اللغويّة تربط بين المستوى المعجمي والنّحوي والصّرفي والدّلالي والبلاغي، فهو كخيط العقد لكل هذه المستويات، ولا يكون تضمين إلاّ بسياق دال عليه "فالتّضمين اجتهاد يحدد مسار الفعل، ويلبي غرضه، ويفتح للنص آثارا تعين على إدراك المزيد من احتمالاته، ويخلع على اللفظ روحا ترفرف في جناحيه وربّما أخذوا على التّضمين أنّه غامض ولكن الحسن كذلك وأنّه تحير ولكن السّمو البياني كذلك وأنّه مخالف للمألوف ولكن الحق كذلك"[32]. إذن فالتّضمين يجعل اللفظة في تركيبها النّحوي تحمل النّص احتمالات أخرى مخالفة لنظامها المقنن، وللتضمين علاقة بالإعراب فالإعراب هو الكاشف عن موضعه في الكلام، يقول عبد القاهر الجرجاني: "إنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وإنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها"[33]. والغرض من التّضمين التّوسع في المعنى نحو قوله تعالى: ﴿**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾(89)[34] والشّاهد قوله تعالى: ﴿**إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ** ﴾ فعاد تأتي بمعنى صار كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾ (39) [35] "والمعنى إن صرنا في ملّتكم" [36]. ويقول ابن جني: "اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإنّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر؛ فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه "[37] فيكون الحرف قرينة دالة على أنّ هذا الفعل ليس بمعناه الأصلي وإنّما قد ألبس معنى فعل آخر. نحو قوله تعالى:﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾[38] فالاستعمال البشري للفعل لا يتعدى بالحرف "إلى" وإنّما ب: "الباء" أو "مع" واستعملت في النّص القرآني بتعديها بالحرف "إلى" دلالة على تضمن فعل الإفضاء، "فللتضمين غرض بلاغي لطيف وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنيين: معنى الفعل الأوّل ومعنى الفعل الثّاني"[39] فالحرف قرينة تدل على

المعنى المقصود من الفعل. " قال الله تعالى إخبارا عن عدوه إبليس لما سأله عن امتناعه عن السّجود لآدم واحتجاجه بأنّه خير منه وإخراجه من الجنة، أنّه سأله أن ينظره ثم قال عدو الله: "**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** (16) " [40]

قال جمهور المفسرين والنّحاة: حذف على فانتصب الفعل والتّقدير: لأقعدن لهم على صراطك والظّاهر أنّ الفعل مضمن فإنّ القاعد على الشّيء ملازم له فكأنّه قال: لا لزمنه ولأرصدنّه ولأعوجنّه ونحو ذلك"[41]. ومن صور التّضمين تضمين الصّيغ في الاستعاذة: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشّيطَانِ الرّجِيمِ" "فالرّجيم "فعيل بمعنى مفعول، والمرجوم في اللغة: المطرود والملعون، أو فعيل بمعنى فاعل، أي يرجم غيره بالإغواء والتّضليل وإلقاء النّفس في المتالف"[42]. فالصّيغة الصّرفيّة قد تعدل عن أصلها بما يوافق سياق النّص، فيتولد عن مبنى صرفي واحد جملة من المباني ذات معاني ودلالات كثيرة. وتتعدد صور التّضمين في الأسماء والأفعال وكذا الحروف حين تنوب عن بعضها البعض في المعاني ومنه قوله تعالى: "سال سائل بعذاب واقع (04)"[43] وسأل من الأفعال التي تتعدى بنفسها "وسأل يتعدى بنفسه قال تعالى: "وَإِذَا سَالتّمُوهُنَّ مَتَاعًا"[44] ويتعدى ب: (إلى) وقد تعدى هنا بالباء فلابد من حمل المعنى على التّضمين وتضمين الباء معنى (عن) قال به مجموعة من المفسرين ولا شيء وراءه " [45]وقد تنوب (في) عن غيرها من الحروف حسب ما تقتضيه الدّلالة في السّياق اللغوي ."وتكون (في) بمعنى (على) ويحتجون بقوله عزّ اسمه: "وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النّخْلِ "[46] أي: عليها. وقوله تعالى: "عيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله"[47] فالاستعمال العادي هو "يشرب منها" وكلّما شربنا من ماء في إناء نقص، غير أنّ الاستعمال القرآني لحرف (الباء) يجعل الماء دائم الجريان لا ينقص ولا ينضب وهذا موافق لما في الجنة. كما أنّ الباء تكون للتبعيض "أثبته الأصمعي وابن مالك، والفارسي والعتبي وجعلوا منه هذه الآية وقوله تعالى: "وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ" [48]وهذه النّيابة لها توجيه فقهي وتكون بمعنى الالصّاق كذلك، يقول ابن مالك:[49].

بِالبَا اسْتَعِنْ وَعَدِّ عَوِّضْ الصّقِ *** وَمِثْلَ مَعْ وَمِنْ وَعَنْ بِهَا انْطِقِ.

وتنوب عن الباء في ذلك بعض حروف الإضافة الأخرى وهي: اللام والواو وفي وإلى وعلى "ولكن هذه النّيابة كانت موضع خلاف في عدد من الحروف وغامضة في

معظمها لا يتوضح فيها المعنى الدّقيق، ولاسيما أنّهم يختلفون في تحديد المعنى الأساسي"[50] إلاّ أنّها أكسبت التّركيب اللغوي سعة في المعنى وآفاقا دلاليّة كلما وضع في موضع غير موضعه الأصلي. يقول الله تعالى: ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الذينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (77)" [51] "فقد ذهب قوم إلى أنّ (من) ههنا بمعنى (على) وهذا فيه نظر فإنّ هناك فرقا في المعنى بين قولك (نصره منه) و(نصره عليه) فالنّصر عليه يعني التّمكن منه والاستعلاء عليه والغلبة ...أمّا (نصرناه منه) فهو بمعنى نجيناه منهم، أو منعناه منهم " [52] وتبدو فكرة التّضمين عند سيبويه في باب تعدي الفعل ولزومه " حيث يصير المتعدي لازما يتضمنه معنى اللازم ويصير اللازم متعديا يتضمنه معناه" [53]حيث يتضمن الفعل الواحد معنيين فيكون (رأى) بمعنى علم فيتعدى إلى مفعولين ويكون بمعنى (أبصر) فيتعدى إلى مفعول واحد. ولا يقتصر التّضمين على الحروف والأفعال بل يتعداها إلى الأسماء، وذلك نحو: "جعل الاسم الموصول في نحو: الذي يأتيني فله درهم، متضمنا معنى الشّرط فجاز في خبره أن يقترن بالفاء كجواب الشّرط، وكذلك النّكرة المبهمة الموصوفة في نحو: كل رجل يأتيك فهو صالح، لتضمنها معنى الشّرط أيضا ويرجع ذلك إلى اشتراك هذين الاسمين معنى اسم الشّرط في الدّلالة على الإبهام والعموم"[54] فمن شروط التّضمين أن تشترك الكلمات المتضمنة بعضها بعضا في المعنى كاشتراك اسم الموصول والنّكرة المبهمة واسم الشّرط في الإبهام والعموم. والتّضمين وسيلة يلجأ إليها النّحويون لجعل المعارض للقاعدة موافقا لها بتوجيه المعنى توجيها تقبله القاعدة، يقول تمام حسان: "وأمّا التّضمين فكثيرا ما يكون وسيلة يستعملها النّحوي لحل إشكال الأصل، كأن يكون في جملة فعل لازم انتصب بعده مفعول فيضمن فعل المتعدي أو متعد لم يصل إلى مفعول إلاّ بواسطة فيضمن معنى اللازم أو حرف استعمل في مكان حرف آخر فيقول النّحوي بتضمينه معناه وهكذا، ثم يرى النّحوي في كل ذلك ردا إلى الأصل عدل عنه ويقدر هذا الأصل"[55]. ولهذا فإنّ التّضمين آليّة استعملها النّحويون حفاظا على قواعدهم من جهة وحفاظا على النّص من التّغيير والتّبديل، بحيث يؤول النّحوي النّص بالتّضمين دون المساس بعناصره ودون تقديم أو تأخير بل يلجأ بطريقة ذكيّة إلى إرضاء القارئ وإشباع فضوله إذا وجد

ما يخالف القاعدة النّحويّة "وهو وسيلة من وسائل اللغة المحفزة لشحذ الذّهن للوصول إلى أفق فكري ولغوي جديد"[56]. بل تعدى التّضمين الحفاظ على القاعدة لدى المؤولين إلى خدمة مقاصدهم .فالتّضمين يعمل الذّهن بربط ما هو مكتوب أو ملفوظ بما هو مفهوم، وهو بذلك يفتح أبواب القراءة للخطاب ويجعل من المتلقي مشاركا في إظهار ما وري من معان في ظلال الكلمات سواء كانت أسماء أم أفعالا أم حروفا.

5. خاتمة:

– يتميّز القرآن الكريم بتفرد لغته باتساع في التّقديرات والتّأويلات لذا جعلها الله تعالى وعاء لكتابه لما تشمل عليه من إعجاز لغويّ وبياني وبلاغي؛

– التّقدير في القرآن الكريم رؤيا من الرّؤى المتعددة لفهم وتوجيه ما وري من النّصّ وتكمن أهميته في الحفاظ على القاعدة النّحويّة والنّصّ معا؛

– الحذف ظاهرة قارّة في اللغة العربيّة لها أبعاد دلاليّة يحكمها سياق النّص وكثيرا ما يكون ملازما للتقدير، بحيث يقدر القارئ ما حذف فيشارك في بناء فهم النّصّ وتوجيه معانيه؛

– للحذف أنواع: حذف الحرف والفعل والاسم والجملة، ولا يكون إلاّ بوجود قرينة تشير إليه في النّصّ؛

–التّقديم والتّأخير هو عدول عن الأصل، يكسب النّص معان مستمدة من العلوم اللغويّة كالبلاغة والدّلالة والبيان وله أغراض كالتّخصيص والاهتمام بشأن المقدم ...؛

– التّضمين هو نوع من أنواع التّقدير حين يتعارض ظاهر النّص مع المعنى وتكمن أهميته في المواءمة بين ظاهر النّص ومعناه المقصود الخارج عن الأصل المعهود، ويتضمّن فعل معنى فعل آخر ويأخذ حكمه الإعرابي فيعمل عمله؛

–ويتضمّن اسم معنى اسم آخر أيضا، كما تنوب الحروف عن أخواتها فتوجه المعنى توجيها مغايرا عن الأصل؛

– العوارض النّحويّة هي عدول عن الأصل لتحقيق غرض من الأغراض والتّقدير هو محاولة إعادة بناء النّص بإرجاعه إلى الأصل في ذهن المتلقي ليستقيم ما هو مفهوم بما هو مسموع أو مقروء؛

– مراعاة المعنى هو الهدف الأسمى لنحونا العربي وليس مجرد الاهتمام بتراكيب وقواعد جامدة، لأنّه لا استقامة للكلام دون إقامة توافق بين النّحو والمعنى؛

– التّقديرات تفتح أبواب الاجتهاد في تأويل القصد من العوارض النّحويّة وتجعل النّص مفتوحا قابلا للقراءات والتّأويلات المختلفة.

6. قائمة المراجع:

[1]–الحذف والتّقدير في النّحو العربي، علي أبو المكارم، دار غريب القاهرة، (ط 1) (2007) ص: 213.

[2]– الحذف والتّقدير في بنيّة الكلمة، كمال سعد، ماجستير، دار العلوم، القاهرة (1993)، ص: 11.

[3] –معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة، محمّد سمير نجيب اللبدي، مؤسّسة الرّسالة ودار الفرقان، بيروت وعمان، (ط3)، (1988)، ص: 182.

[4]– ينظر: لسان العرب لابن منظور، مج 4، دار صابر بيروت، لبنان (ط 1)، (2000)، ص: 65.

[5]– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، (د ط)،10(د ت)، ص: 146.

[6]– الحذف والتّقدير في النّحو العربي، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط 12007 ص: 209.

[7]– سورة الكهف: 82.

[8]– ينظر: التّوجيه البلاغي للقراءات القرآنيّة: أحمد سعد محمّد، مكتبة الآداب، القاهرة ط 1، 1998، ص: 246.

[9]– سورة الفجر: 22.

[10]– الدّلالة اللغويّة وأثرها في تأويل النّص القرآني عند المعتزلة والأشاعرة، دكتوراه عرابي أحمد، مخطوط، 2003 جامعة وهران الجزائر، ص: 193.

[11]–الكشاف، الزّمخشري تح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط 3، 1987 م، ج 4، ص: 751.

[12]– يوسف: 82.

[13]–الخصائص، ابن جني، ج 2، ص: 447.

[14]–الماعون: 1 –2.

[15]– تفسير أبي السّعود (إرشاد الغقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم)، أبو السّعود محمّد بن محمّد العبادي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت (د ط)، (د ت)، ج 9، ص: 132

[16]–النّحو بين النّحويين والبلاغيين، حيدر حسين، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط 1،2013،ص: 273.

[17]– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة (د ط)، (د ت)، ص: 106.

[18]–العلق: 01.

[19]–كتاب فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبو يحيا زكريا الأنصاري، تح: محمّد علي الصّابوني، دار القرآن الكريم، بيروت (ط 1)، (1983 م)، ص: 09

[20]– المصدر نفسه، ص: 09.

[21]–صفوة التّفاسير، محمّد علي الصّابوني، تح: عمر عبد السّلام السّلامي إحياء دار التّراث العربي، بيروت، لبنان، (ط 1)، (1995 م)، ج1، ص:19

[22] – الغاشيّة: 25 – 26.

[23]– البقرة: 07.

[24]– تفسير التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنشر، 1984 ج 1، ص: 258.

[25]– البقرة: 124.

[26]–تفسير التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، ج 1، ص: 702.

[27]–الأنبياء 62.

[28]–دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، منير محمود المسيري، مكتبة وهبة القاهرة (ط 2)،2009 م، ص:67.

[29]–مريم: 46.

[30]–البقرة: 283.

[31]–اتساع الدّلالة في الخطاب القرآني، محمّد نور الدّين المنجد، دار الفكر، دمشق ط 1، 2010 م، ص: 417.

[32]–التّضمين النّحوي في القرآن الكريم، محمّد نديم فاضل، مكتبة دار الزّمان، المدينة المنورة ط 1، 2005 م، مج 1، ص: 14.

[33]–دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مح: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة (د ت)، (د ط)، ص: 28.

[34]–الأعراف: 89.

[35]–يس: 39.

[36]– كتاب فتح الرّحمن، أبو يحيا زكريا الأنصاري، ص: 200.

[37]– الخصائص، ابن جني، تح: محمّد علي النّجار، المكتبة العلميّة، (د ط) (د ت)، ج 2، ص 308.

[38]–البقرة: 187.

[39]–معاني النّحو، فاضل صالح السّامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 2 2003م، مج 3، ص: 12.

[40]–الأعراف: 16.

[41]–إغاثة اللهفان من مصايد الشّيطان، ابن قيم الجوزيّة، دار الآثار، القاهرة، مصر ط 1، 2005 م، ص: 101.

[42]–إعراب القرآن الكريم وبيانه، تأليف محمّد الدّين درويش، مج 1، اليمامة للطباعة النّشر، دمشق، دار ابن كثير، بيروت، ط 7، 1999 م ص: 22.

[43]–المعارج: 01.

[44]–الأحزاب: 53.

[45]–التّضمين النّحوي في القرآن الكريم، محمّد نديم فاضل، ص: 390.

[46]–طه: 71.

[47]–الإنسان: 06.

[48]–إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج: 8، ص: 163 – 164.

[49]–ألفيّة ابن مالك، محمّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، منشورات دحلب (د ط) (د ت)، ص: 32.

[50]–الأدوات النّحويّة فيكتب التّفسير، محمّد أحمد الصّغير، دار الفكر، دمشق، ط 1 2001 م، ص: 512.

[51]–الأنبياء: 77.

[52]–معاني النّحو، فاضل صالح السّامرائي، مج 3، ص: 12.

[53]–الدّلالة والتّقعيد النّحوي دراسة في فكر سيبويه، محمّد سالم صالح، دار غريب للطباعة والنّشر، القاهرة، ط 1، 2006، ص: 295.

[54]– المرجع نفسه، ص:295.

[55]–الأصول، تمام حسان عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 2000 م، ص: 145.

[56]–التّعديّة بالتّضمين إلى مفعولين في أفعال القرآن، ناظم علي عبادي، مجلة آداب ذي قار، مج: 1، العدد:4، جامعة البصرة 2011 م، ص: 16.